أخرى، يأتي في مقدمتها خطورة دور السياق، وأثره في تحديد دلالات اللغة، والانحراف بها من جهة إلى أخرى قد تكون مغايرة لظاهر الأمر مغايرة، يرشدنا السياق إلى أبعادها.

ومفهوم السياق في هذا الكتاب، لا يتوقف عند حدود السياق اللغوي للنص، بل يتجاوزها، ليعي ما هو غير لغوي مما يؤثر فى اللغة.

وغير اللغوي هذا، يتمثل في السياق الثقافي العام الذى ينتظم التركيب اللغوي، ويعبر هذا الأخير، عن فكره وعقائده. ويتمثل كذلك، فيما يفهمه القارئ من دلالات السياق الموضوعي للموقف الذي سيق التركيب اللغوي فيه، وما يحيط به من عاطفة تؤثر تأثيرا مباشرا على الاختيارات اللغوية للمتكلم، وعلى اختيارات المتلقي، سواءً بسواء.

وعندما يتصدى اللغوي لتفسير النصوص، واعيا بهذه الحقائق، يستطيع أن يسبر أغوارالمعاني، آمنا التأثر بأفكار خارجة عن سياق فكر النص، وعن المفاهيم التى تنبعث منها لغته، ولو لم يكن فكره الخاص منتميا إلى فكر اللغة موضوع درسه أو تحليله.

إن فهم النصوص بتحليل سياقاتها، يعمق التجربة اللغوية للمفسر؛ يعمق صلته بعالم النص وبعالم اللغة، ويقود إلى نتائج دلالية تميل إلى أن تتسم بالثقة والوضوح، وتبعد عن الانجذاب إلى بريق فكرة عدم التأكد وعدم إمكان التحديد، تلك التي لقيت رواجا لدى كثير من اتجاهات الفكر اللغوي المعاصر فعاقت حركته وتقدمه عند التصدي لتطبيق النظرية.

وطموح هذا العمل، أن يكون قد قدم تجربة ونتائج جديرة بإعادة اختبارها، بغية تمهيد طريق، لما يزل وعرا، قد يعيننا تمهيده للدرس اللغوي، على التعامل مع لغة النص القرآني، برؤية عميقة، صادقة، ومستنيرة.

ولله المنة والفضل، من قبل ومن بعد.